المقـــدمـة

الاعتدالية الإيجابية والاتجاه الإنسانى هـى محاولـة لوضـع رؤيـة فلسفية جديدة ، رؤية فلسفية منهجية تعتمـد الرؤيـة التكامليـة للقضايـا والأمـور ، وتتخـذ تجـاه كـل القضايـا موقفـا إنسـانيا ؛ إنسـانى الغايـة وإنسانى الوسيلة .

رؤية فلسفية إنسانية تقوم على محاولة فهـم الإنسـان والوعـى بـه وبأبعاده ومحاولة فهم الوجود وأركانه .

فالإنسان ليس جزءا ولا حتى مجموعة أجـزاء ، بـل إنـه نواحـى وأبعـاد متشـابكة يكمـل بعضهـا بعضـا فـى منظومـة إنسـانية فريـدة ومتميزة؛ لا تكتمل إنسانية الإنسان وتتناغم مع الوجود إلا بها .

بيد أنه لا يمكن الزعم أن هذه الرؤية هى الصواب الذى لاشـائبة فيه كلا إنها لا تزعم هذا مطلقا لأنه أولا هذا الزعم ليس من حق أى رؤية أن تدعيه ، وثانيا لأن النظريـة الفلسـفية لا تتصـف بـالصدق أو الكذب ، وإنما قبولها يتوقف على الاقتناع بها أو عدم الاقتناع .

وكذلك أيضا لا يمكن الزعم أنها الكلمـة الأخـيرة التـى لا تعقيـب عليها ، لأن هذه الرؤية الإنسانية وفـى أصلهـا الأصيـل لـتزداد رونقـا ولمعانـا بازديـاد ديناميكيتهـا وحيويتهـا التكامليـة ، وهـذا لا يتـأتى إلا بالطرق الشديد عليها وعلى تقنياتها.

إذن ماهى إلا خطوة متواضعة على طريق الكشف والإبداع ، الذى كان وسيظل موازيا لخلاص الإنسان ورفعته .

منهج البحث :

ولما كان هذا البحث يسعى لإقامة ما ينبغى أن يكون ، كان من الأهمية بمكان العرض لما هو متراكم أو كائن ، ونحسب أن هذا لابد له من منهج تاريخى حيث يتم به تتبع الفلسفات المثالية والفلسفات المادية ، إن منها القديمة أو الحديثة أو المعاصرة . وهذا هو ما يقوم به الفصل الثانى على وجه الخصوص ، وذلك فى تبيان لموقف الاعتدالية النقدى من المذهب المثالى والمذهب المادى .

ثم يأتى الفصل الثالث والذى يتضح فيه أحد أهم المفاهيم التطبيقية لرؤية الاعتدالية الإيجابية وإتجاهها الإنسانى ، وهو مفهموم المادية المثالية الإنسانية .

أهداف البحث :

إن أهم ما تسعى هذه الرؤية إلى تحقيقه هو :

أولا :

أن تقيم فى العالم نظرة التوازن و(رؤية الأبعاد) تلك الرؤية الجديدة ذات الصبغة الإنسانية التى تحاول جمع ما فى الإنسان واحتواء طبيعته وصبغته التى صبغنا عليها المولى عز وجل .

يقول تعالى "صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون" (١) .

وبرؤية الاعتدالية الإيجابية والاتجاه الإنسانى يعاد بناء بعض المعادلات الفكرية وتنشأ من البداية إنشاءا . وذلك فى محاولة فلسفية تخطو بالإنسانية فوق كبواتها وتضعها على دربها الصحيح .

ومما لا شك فيه أن المنهج هو عصب الفكر والحياة .... وبقدر ما يكون المنهج سليما بقدر ما تكون سلامة سفينة الحياة من الأمواج العاتية.

ولقد لاحظت أن أكبر مشكلة عوقت الفكر البشرى خاصة فى حقبته الحديثة والمعاصرة – هى مشكلة (نظرة الزاوية الواحدة) التى تتقوقع فى زاوية واحدة وحيدة ناقصة ضيقة ، وهذا بسبب الجنوح والانحراف فى أكثر القضايا المتعلقة بالإنسان والوجود .

وقد أكون على صواب فى القول أن علاج هذه المشكلة هو"رؤية الأبعاد" تلك الرؤية التى كشفت لى عن نفسها شيئا فشيئا وذلك منذ الصبا المبكر .

فلقد تراءى لى منذ هذا الصبا أن النظرة الضيقة – ذات البُعد الواحد هى مشكلة كئود تعوق الفكر الصحيح .

ومنذ هذا الوقت المبكر واصطدامى بهذه المشكلة إن فى الحياة

---

(١) سورة البقرة (مدنية) الآية : "١٣٨" .

العامة وفى عراك الحياة اليومية ، وما حظيت به من بعض القراءات الدراسية أو الخارجية - أخذت أفكر كثيرا فى حل تلك المشكلة والتى تجهض وتبتلع أية حلول صحيحة ، وأية حلول عقلية موضوعية إنسانية لأى قضية أو مسألة ، وهذا بسبب المنطق المتخلف للنظرة الضيقة التى كان الجنوح دائما سبيلها .

توصلت لبعض الحل آنذاك ولكن فى حدود إمكانياتى المعرفية الدراسية والأدبية فى تلك الفترة ، حتى أنى مارست هذا الحل فى بعض القصص القصيرة التى كنت أقوم بكتابتها.

كل ما توصلت إليه فى تلك الفترة : أن هذا خطأ .. الاندفاع والتطرف خطأ ، ويجب معالجته . كيف ؟
ببعض التفكير والتريث والتدبر. هذا كل ما توصلت إليه فى هذه الفترة ، وهذا ما قد أرتأيته فى سبيل حل هذه المشكلة ؛ مشكلة النظرة الضيقة ذات الزاوية الواحدة .

هل كان هذا الذى سبق صدى ملامح لما يكتنف بداخلى من هذه الرؤية ؛ رؤية الاعتدالية الإيجابية والاتجاه الإنسانى - ؟ ربما ! .

ومع السنين يزداد الإنسان معرفة ، خاصة وأننى تخصصت فى مجال الفكر الأول ؛ تخصصت فى الفلسفة والتى هى تاج الفكر الإنسانى المرصع .

عند ذلك كانت الصورة أكثر وضوحا لتحديد هذه المشكلة ، كانت أكثر وضوحا وتحديدا من مرحلة الصبا المبكر لأن تلك المشكلة

- أو المأساة - ازدادت حجما على حجم وخطرا على خطر ، واستشرى خطرها حتى كادت أن تطمس موضوعية الفكر وعقلانيته ، وكادت أن تغرق المجهود الإنسانى وممتلكاته قلبا وقالبا . فلقد كانت الصدمة الكبرى والطامة الكبرى عندما وجدتها فى طيان فكر المفكرين والفلاسفة، بل وجدتها فى صورتها المستشرية والأشد قتامة . وهنا وجدت بعض العذر للناس الأقل حظا من منبع الثقافة والعلم - فإذا كان هذا السقوط المدوى للقادة فما بالنا بالجماهير ، فإذا سقط المصباح فما بالنا بالمستنيرين ؟!! .

وهنا وبطبيعة الحال لم تعد مجرد مشكلة عادية - وإن لم تكن هى بالنسبة لى وفى أى وقت من الأوقات مشكلة عادية أو مشكلة يستهان بها - ولكن ما حدث أن الصدمة ازدادت إصعاقا والمشكلة ازدادت مأساة عندما رأيت هذه الجمهرة من المفكرين والفلاسفة ، والذين هم من المفروض أن يكونوا رعاة المنطق والعقل والنظرة الحكيمة ، ازدادت الصدمة إصعاقا عندما رأيتهم عليها سائرين وفى مضاعفاتها غارقين .

ومن هنا لم تعد مجرد مشكلة عادية أو حتى مشكلة عويصة أو مشكلة على درجة كبيرة من الخطورة فحسب ، بل أصبحت "مأساة الفكر البشرى" هذا هو ما استقر فى ذهنى وفى رؤيتى ، بعد تلك الرؤية المعرفية والأدبية والفلسفية ، بل وإن شئت فلتقل الحياتية ، الرؤية والمصير .

وهكذا كانت رؤية الاعتدالية الإيجابية وهد هدتها الأولى إلى نموها ونضجها الفلسفى لعلها تكون بارقة أمل وعين صافية فى وسط صحراء الإنسانية بعد أن أصابها إقحال على إقحال .

ثانيا:-

إن تلك المحاولة الفلسفية المتواضعة كما أنها تساهم فى بث روح جديدة فى الفكر العالمى ، فإنها أيضا تسعى لإيقاظ أمتنا لتحقق قوتها ونهضتها وتشيد حضارتها ، وفى ذلك خير الإنسانية حيث تقوم هذه الأمة بمهمتها التى أنيطت بها كخير أمة أخرجت للناس وهذا بشهادة الله وهو سبحانه خير الشاهدين .

فبأساسيات هذه الرؤية وتطبيقاتها سعى للمساهمة المتواضعة مع جهود أساتذتنا الذين كانت لهم جهود عظيمة ومخلصة على هذا الدرب ؛ درب الكفاح من أجل نهضة هذه الأمة .

ففى هذه الرؤية سعى جهادى لإيقاظها وتحقيق نهضتها مشيدين حضارتنا ؛ حضارة إنسانية تملأ الدنيا إيمانا وعلما وعدلا وأخلاقا ؛ حضارة إنسانية تعيد الإنسان إلى الإنسان .

فقد لا يكون من المجافاة للحقيقة القول بأنه لابد لأمتنا من هذه الرؤية وهذا المنهج ، لأن أمة بدون منهج هى بلا شك أمة تفتقد ماضيها ولا تحيا حاضرها ولن تستطيع أبدا أن تشيد مستقبلها ، فضلا عن القيام برسالتها العالمية .

ويأمل الباحث أن تكون فى رؤية الاعتدالية الإيجابية والاتجاه الإنسانى إقامة لهذا المنهج إذ أن الإسلام يعلنها عالية خفاقة يقول تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (١).

فهل لهذه الأمة اليوم أن تحيا تلك الشخصية فتحقق قوتها وتعيد أمجادها وتشيد حضارتها ، وبذلك تقوم برسالتها العالمية التى أنيطت بها فتنقذ الإنسانية وتعيد لها كرامتها المهدرة وتقيم العدل وتنشر الخير فى كل مكان يقول تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" (٢) .

ثالثا :-

وأيضا رؤية الاعتدالية الإيجابية والاتجاه الإنسانى تحاول أن تعيد للفلسفة مكانتها المفقودة ؛ تحاول أن تنتشل الفلسفة من الدوامات التى هوت فيها ، والشكوك الكثيرة التى حامت حولها ؛ بعد أن أصابها التيه والتيهان ووجهت لها من الاتهامات المنطقية والوظيفية الكثيروالكثير ، حتى أراد لها البعض أن يقذف بها خارج حدود الزمان والمكان ، بعد أن اتهمت فى الصميم ، اتهمت بأنها لاتعى الواقع ، وإنها ليست إلا مهنة المترفين والمترفات . مع أن أحدا - بعد معاناة الأنبياء وجهادهم - لم يعانى مثلما عانى المفكرون والفلاسفة على مر العصور ، ومع أن الفلسفة - فى حقيقتها - رسالة وعى، وعى بالواقع والنفاذ إلى أعماقه.

---

(١) سورة البقرة (مدنية) آية "١٤٣" . (٢) سورة آل عمران (مدنية) آية "١١٠" .

والوعى بالمجتمع ، وكشف عناصر القوة والضعف فيه ومحاولة السعى – الدءوب – لتغييره إلى ماهو أفضل ، وذلك بحسب رؤية مستقبلية تسعى لتحقيقها ، هذا مع الوعى بالمجتمع العالمى بأسره . فكل هذا الوعى هو عقلها ورسالتها .

إذن هذه الرؤية الفلسفية تسعى إلى أن تعيد للفلسفة جاذبيتها وتوازنها قبل أن يقذف بها خارج المحيط البشرى .

فهذه الرؤية بقدرتحليقها فى السماوات العلى والأفق الأعلى ، بقدر غوصها فى أعماق الواقع الحياتى ، بل إنها تربط بين هذا وذاك فى منظومة إنسانية فريدة ومتميزة .

إذن – وعلى الإجمال – بهذه الرؤية الفلسفية الجديدة حاولت أن:
ألقح رحم البشرية ببذور جديدة ومبتكرة .
وأضخ فيه مفاهيم وأسسا جديدة

المهمة شاقة .. نعم شاقة وجسورة .. نسأل الله التوفيق .. إنه من وراء القصد وهو سبحانه المستعان .

ولقد عرضت هذه الرؤية الفلسفية فى خمسة فصول وخاتمة . وذلك بعد أن قدمت لها بمقدمة تمهيدية كانت عبارة عن تعريف بهذه الرؤية وكيفية مولدها وأهم ما تسعى إلى تحقيقه . وكان هذا بمثابة عتبة لابد منها للعروج على فصول البحث الخمسة الآتية .